

فلسفة المكان في شعر عثمان لوصيف

د. علاوة كوسة

جامعة ميلة (الجزائر)

koussaallaoua@yahoo.fr

الملخص:

يقارب الباحث في هذه المداخلة فلسفة المكان في شعر عثمان لوصيف ؛ متخذاً من نماذجه الشعرية عيناتٍ لاستقصاء الأبعاد المكانية بمختلف تجلياتها وأقسامها فمقولاتها وعلاقاتها بالآخر ، من حيث مقولاتها الظاهرة وأنساقها المضمرّة، لأنّ المتمعّن في المتن الشعري عند عثمان لوصيف يستشعر سلطة المكان القصوى في تشكيل النص الشعري متضمناً جماليات المكان ومقولاته ، وهو ما يجعل للمكان في شعره فلسفته المتفردة في المشهد الشعري الجزائري والعربي، سننطلق في مداخلتنا من مهاده نظري، حيث نتطرق فيه إلى مفهوم الفضاء/المكان وأهميته في تشكيل النص الشعري المعاصر، إذ أثّرنا أن نقف عند حدود مصطلح الفضاء/المكان، وذلك لما تلبسهما من غموض وتداخل، واستعمال بنفس المفهوم، فمن الدارسين من يوردهما بمفهوم واحد ومنهم من يفرق بين المفهومين: الفضاء، المكان، كما أننا سندرج أهمية المكان/الفضاء في القصيدة الجزائرية المعاصرة؛ إذ إنّ للمكان أهمية بالغة في النص الشعري، كغيره من النصوص الأدبية الأخرى حيث يعدّ المكان الركيزة الأساس في جسد القصيد ، كما نتحدث في مداخلتنا عن أقسام المكان الشعري في شعر عثمان لوصيف ، وندرج عنصراً للحديث عن علاقة المكان بالآخر في شعره، ونتحدث في هذا العنصر عن علاقة المكان - بوصفه مكوناً شعرياً رئيساً - بعناصر شعرية أخرى ؛ كعلاقة المكان بالزمن والأنساق المضمرّة ، والدوات ، واللغة واللون.

أولاً : في المهاده النظري

1- إشكالية المصطلح: الفضاء/المكان

قبل الخوض في فلسفة المكان في المتن الشعري الجزائري، (وفي تجربة الشاعر عثمان لوصيف تحديداً) أثّرنا أن نقف عند حدود مصطلح الفضاء/المكان، وذلك لما تلبسهما من غموض وتداخل، واستعمال بنفس المفهوم، فمن الدارسين من يوردهما بمفهوم واحد ومنهم من يفرق بين المفهومين: الفضاء، المكان، ويعود هذا الالتباس إلى أن "الأبحاث المتعلقة بدراسة الفضاء تعتبر حديثة العهد، ومن الجدير بالذكر أنّها لم تتطور بعد

لنؤلف نظرية متكاملة عن الفضاء الحكائي، مما يؤكد أنها أبحاث لا تزال فعلا في بداية الطريق"¹، إذ لا نكاد نعثر على دراسات كثيرة متخصصة في هذا المجال إلا بعض الجهود المتفرقة هنا وهناك.

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "فضا" قوله: "فضا: الفضاء/ المكان الواسع من الأرض، والفعل فضا يفضو فضوا فهو فاض... وقد فضى المكان وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان إلى فلان، إذا وصل إليه، وأصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه"²، وهنا يتخذ الفضاء - حسب ابن منظور - معنى الاتساع، وتصير له تسميات كالفرجة، الحيز، وقد فضل عبد الملك مرتاض المصطلح المنظوري "الحيز" في جل أعماله النقدية للدلالة على الفضاء/المكان، ويعرفه في كتابه "القصة الجزائرية المعاصرة": "الحيز، لدينا، ليس هو فقط الفراغ ولكنه يشمل الامتدادات والخطوط والأحجام والأوزان والظلال والاتجاهات التي تقع في حركة الأسفار حتى لو كان السفر أسطوريا"³ وبذلك يكون للفضاء ملمحٌ شمولي لكل الموجودات من حيث إن الفضاء يحتوي كل كائن بحركته وسكونه وأفعاله لأنه "يحمل مع جميع الدلالات الملازمة له، والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم"⁴؛ فيصبح الفضاء انطلاقا من رؤية حميد لحميداني، الإطار الذي تتشكل داخله الموجودات جميعها، والأفكار والرؤى والثقافات، وتنطبع فيه بطابعه، من منطلق أن للفضاء سلطته على تشكيلاته وجزئياته، ومكوناته، وأن له تأثيراته عليها. لذلك تختلف هذه الرؤى والثقافات باختلاف الفضاءات التي تحتويها وتشملها وتشكل إطارها وحيزها الذي تدور وتتحرك، و"تنظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال"⁵ أما عند "غاستون باشلار" فقد اقترن الفضاء بالبيت حيث إن "كل الأمكنة المأهولة حقا، تحمل جوهر فكرة البيت (...)" وأن الخيال يعمل في هذا الاتجاه أينما لقي الإنسان مكانا يحمل أقل صفات المأوى"⁶، على الرغم من أن "الدراسات الموجودة حول هذا الموضوع لا تقدم مفهوما واحدا للفضاء"⁷

2- أهمية المكان في النص الشعري:

للمكان أهمية بالغة في النص الشعري، كغيره من النصوص الأدبية الأخرى حيث "يقوم المكان في النص بوظيفة العمود الفقري"⁸ في جسد النص؛ بل يمكن عدّ "المكان هوية العمل الأدبي"⁹ كله، وإنّ للمكان مدلولاته الفكرية والنفسية والاجتماعية أيضا، "ويعني المكان بالنسبة للإنسان أشياء متعددة، فهو المأوى والانتماء ومسرح الأحداث"¹⁰، وكل ما يمكن أن يختزن جزءا هاما من ذاكرة الإنسان وتجاربه، وذلك على يقين من أن "المكان الحيز لا يمكن أن يعني شيئا كبيرا، وغنما المكان الذي يعني هو المكان التجربة"¹¹، المكان الحدث، المكان الوقائع، المكان الذي يختزل فترات من عمر، ومراحل من حياة، لذلك عكف الكتاب والمبدعون على الاشتغال عليه وتأثيره في أعمالهم الأدبية بكل مكوناته التي تجعل منه مسرحا هادفا دالا، يؤدي

وظيفته الأدبية كما تؤديها عناصر العمل الأخرى، "ويمكن القول إن المكان ليس مجرد وعاء خارجي أو شيء ثانوي، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني"12، بل ويتجاوز كونه وعاء إذا كان الناص واعيا بسلطة المكان وأدائه القوي داخل النص، وبمقدرته على صدارة العناصر الأدبية دلالة وتشكيلا، كما أن العلاقة بين الناص/الكاتب والمكان كمكون رئيس دال، من شأنها أن تنعكس على عناصر العمل الأدبي الأخرى فتتضافر معها لتشكيل قوة/سلطة النص الكلية. "وفي ثانيا ذلك الحديث بين الذات المبدعة والمكان الخارجي تنمو لغة أخرى، وهذه اللغة تختزل ملامح شعرية المكان، حيث تهرب الأمكنة من حقيقته، ليبنى الخيال المكان الآخر، المكان اللغوي"13، وبذلك تحدد قيمة التعامل مع المكان، بوعي وعمق عوالم لغوية جديدة تعطي للمكان مفهوما جديدا مغايرا خاصا بكل مبدع/ناص، "لأن المكان يبقى مفهوما ضروريا، فلا وجود ولا زمن ولا حركة ولا لون ولا ظل ولا أشياء إلا به"14

إن الحديث عن المكان في أي عمل أدبي هو حديث عن العمق والدقة بعيدا عن المعنى السطحي، فلم يعد المكان "الأرضية التي تتوزع على خارطتها الأحداث ولا هو الشكل البلاستيكي المبني من الطوب والحجر والقصب (...)" كما أنه ليس متكا للفن الرديء الذي يجد في أجزائه مادة للوصف المركب وإنما هو ذلك الشيء الذي يستحيل الفن بدونه أن يسمى فنا"15، ومن ثم فإن حسن التعامل مع "المكان" من حسن الوعي بأهميته ودوره في العمل الأدبي؛ بعيدا عن استغلاله كتوشية وزخرفة لا بد منها في النص الأدبي، وتتكشف معضلة المكان في شكلها المعقد، حينما يلامس التفسير والتأويل تحوما، يكون فيها المعنى أكثر ارتباطا بالمكان وإيجاءاته. وكأن المعنى لا يكتسب أبعاده القصوى إلا إذا استرقد المكان، واستخلص منه محمولاته الدلالية. فإذا اقتصر التأويل على المعطيات الفكرية، والاجتماعية، والنفسية.. مثلا فإن صنيعه ذاك يظل ناقصا، مهما كانت درجة العمق والإجادة في خطابه. بل إننا نزع الساعا أن التأويل الذي يكتفي بذلك النزر القليل من الفحص، تأويل ناقص. لا يمكن أن يصل إلى عمق النص أبدا، مادامت المعطيات نفسها لا تتأسس قاعدة علمية، إلا إذا أخذت حظها من الارتباط التشعبي الذي يشدها إلى المكان"16، و يؤكد حبيب مونس في معرض بحثه في فلسفة المكان على ضرورة الالتفات إلى قراءة المكان والاهتمام به، "ولما كان الشعر العربي، شعرا مكانيا في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته، والإنسان الذي أبدعه، كان لزاما على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه، نظرة لا تحكمها التبعية، فتحصر هم المكان في بعض المظاهر الثانوية، أو تتخطاه لمجرد ذكره بعبارات اهترأت استعمالا، وخوت دلالتها، و صددت جدتها. بل التنقيب في عمق العلاقات التي ينشئها المكان بينه وبين مختلف المعاني، والعادات القولية، والفعلية، والأخلاق، والسلوك. مادامت الغنائية في الشعر العربي إنما تتأسس على اهتمام فردي في المقام الأول، ثم تفتح لعدد من العلاقات الأخرى."17، كما

أنه لا يمكننا بأي حال من الأحوال الادعاء بأنه يمكننا ولوج عوالم النص الشعري دون امتلاك أدوات قراءة المكان وتفكيكه واستكناحه ؛ لأن المكان الشعري شريك رسمي في بناء البيت الشعري، وإنّ له حضورا شكليا وضمنيا داخل النص، لذلك لقي كلّ هذا الاهتمام في الدرس النقدي المعاصر؛ و " لقد أخذ الحديث عن المكان في الشعر العربي أبعادا مختلفة، بحسب زوايا الرؤية التي عاجلته من جهة، وبحسب الفهم الذي أنيط به من جهة ثانية، وبحسب المعارف الرافدة التي تؤثت الدراسة. وكل مقارنة للمكان من هذه المنازع إنما قدمت نتائجها الدقيقة التي أعطت للمكان ثقله الفني في البناء الشعري شكلا ومضمونا، حتى غدت مقولة المكان من الخطورة ما يجعلها موضوعة تتشعب إلى رؤى ذات طبيعة ميتافيزيقية، بعدما كانت تدرك فقط في الحدود الجغرافية والاجتماعية و النفسية. ذلك أن المكان في صلته بالذات المبدعة والمتلقية، يتخذ من الصفات المتشابهة ما يجعله من المقولات الأكثر تعقيدا على مستوى المعنى والمبنى. وأن فك هذه العلاقات يقتضي من الدرس التحليلي أن يسترفد سائر المعارف التي أنتجت العلوم الإنسانية لفك ألغازه، حتى تفضي إلى الحقيقة التي من أجلها سيق المكان في الشعر موضوعا، أو إشارة، أو رمزا"18، وعليه فمن غير الممكن القول بمقاربة الشعر بعيدا عن فقه أمكنته والرسوخ في تأويلها، لأن المكان عمود الشعر بلامنازع

ثانيا : فلسفة المكان في شعر عثمان لوصيف

أحد أندر الشعراء الجزائريين والعرب المعاصرين الذين عاشوا التجربة الشعرية قبل أن يكتبوها ، والذين ضاق بهم الكون الفسيح بما رحب ، فأعادوا تشكيله شعريا وإنهم فيه لموسعون، أولئك الذين سكتهم الأمكنة إذ سكنوها ، واتخذوا منها مواقف فنية وتشكيلية في نصوصهم المكانية بفلسفتهم ورؤيتهم الخاصة، التي لا شريك لهم فيها، إنه فقيدهم الشعرية الجزائرية المعاصرة ، وأحد أعلامها البارزين في تاريخ الشعر الجزائري القديم والحديث، الذي علمنا "الكتابة بالنار" حين لا يُصغى لنا ، وحين ينتابنا "شبق الياسمين" في "أول الجنون" فنكون أهلا لـ "براءة" عشق شعري نادر جدا ، فكان عثمان فعلا علامة شعرية جزائرية مسجلة لا تقبل التقليد أبدا، وله في الحراك الشعري المعاصر "أبجديات" لا يفقهها إلا الراسخون في الحلم ، أولئك الشاهدون على "ما" قالت الوردية " فأقاموا لها "أعراس الملح" لتخلد "اللؤلؤة" الشعرية الجزائرية بين أقرانها العربية شامخة شموخ عثمان لوصيف ؛ الذي عاش شامخا شعريا ومات واقفا في وجه رياح النسيان والتغيب ، فكتب له الخلود؛ وكذلك يمر عظماء التاريخ والحرف شامخين وينصرفون ممثلين حبا وحياء. تاركا من خلفه أماكن تنضح شعرا وفرحا، ومدنا تتغنى بأشعاره وقد عاش حيننا من الشعر والدهر متغنيا بها ، هو مدّاح المدن محييا في زمن رثائها وبكائها في أوطان أخرى.، فأفرد لغرداية القلب والديوان، وهو العابر الشعري المداح لمدائن كثيرة، فمن بسكرة السكرة إلى سطيف العروس فباتنة الملاذ، إلى وهران الحنون فتيزي وزو التاريخ فورقلة الزهراء والطفلة المدللة ، فمدن أخرى ،

يرحل عثمان وتظل مآذنها وآذان أهلها صاغية صاغرة لروائعه الشعرية، هذا هو عثمان قبل دخولنا ممالكه الشعرية الباذخة من أبواب قرائية متفرقة

1- أوجاع البحر والصحراء:

تسكن الأمكنة الشعراء فتعمر طويلا، ولم يكن المكان البتة إطارا وحيزا يمارس فيه الفرد تفاصيل الحياة بحداد، بل إن الذات البشرية تعيش ذاك الحيز بكل مأوتيت من حس وحياة وذاكرة وحلم، وتقاسمه التفاصيل وتُسكنه ذاتها رغبة أو رهبة، فمن غير الممكن الحديث عن فصل بين ذات المكان وذات الإنسان أبدا، ومثلما يقول الأسلوبيون: إن الأسلوب هو الإنسان، فإننا نجزم بأن المكان هو الإنسان روحا وجسدا، ذاكرة وحلما، حضورا وغيابا، "والمكان لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي إنما يتغلغل عميقا في الكائن الإنساني حافرا مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة ليصبح جزءا صميما منها" 19، وإن آمنّا بموت المؤلف الناعم وبضمور السياق لدى مقارنة النص الشعري، فإننا لانفي أن مقارنة التجربة الشعرية "العثمانية" لا يمكنها بأي حال من الأحوال التأويلية أن تتصل من السياق المكاني، من حيث موطن الشاعر ومسقط تجاربه الشعرية الأولى (ونقصد الصحراء)، لذلك آثرنا مقارنة الفضاء الأكثر حضورا في المدونة الشعرية العثمانية، وإن بتشكيل وصيغ وأبعاد وصفات مختلفة، فلم يكن ذلك الحضور الصحراوي عفويا عارضا لدى عثمان لوصيف، الذي ارتسمت ملامحه التعالقية الشعرية مع الصحراء واضحة عميقة أليمة أليفة قاسية، فالصحراء "متحفنا التراثي الأدبي حفل منه الشعر الجاهلي بالخصوص بانفتاح كبير وعميق وواع على أهمية الفضاء في صياغة الوجود المادي والإبداعي، الوعي بالفضاء كمكان أولا، ثم كعلائق وكذاكرة وكحنين" 20، ومازال يحفل به المتحف الشعري المعاصر، وعثمان ممن أثثوا هذا المتحف الشعري بنصوص مكانية كثيرة، تأخذ قيمتها الفنية بالتقدم؛ بوصفها تحفا شعرية تكشف عن حسنها يوما بعد يوم، وسنقه الصحراء حين نفهم المكان والإنسان والوجود كله من خلال ما امتلأت به الصحراء من فراغ رهيب مؤثث ببواعث للحب والحنين، كالإنسان الذي شغل المكان، والمكان الذي شغل الإنسان أيضا، إذ الأماكن نسكنها وتسكننا، وفيها الحياة كما الموت والاختضار كما الاصفرار والخصب كما الياب، و"هل قدر الصحراء أن تكون موطن النبوات والعذابات والتصوف والتجرد والأسرار والنقاء، الشعر والحكي" 21 فقط، أم إننا لم نخط بها علما وخبرا وحلما وسرا؟ أم إنها موطن الأحلام والجمال والتلبس بالحياة، ولقد ارتبطت "الصحراء بالغزو وقطع الطرق فإن رمزيها ارتبطت بإحاطتها الواسعة بالفرد الذي تستلب حريته" 22، لذلك ينزع الشعراء إلى التحرر شعريا في

كثير من نصوصهم التي تتخذ من الصحراء أفضية ، ومن مكوناتها رموزا وبواعث للخروج عن التقاليد الشكلية والموضوعاتية أحيانا ، ولنا في القصيدة الحرة الجزائرية أمثلة كثيرة ، ومنه فإن الصحراء تعني في ما تعنيه التحرر والانطلاق والتمرد ، والفقد الكثير ، وتعني الخصب والنماء والملاذ كما صور عثمان لوصيف ذلك ، فأحال الفضاء الصحراوي المقفر جناتٍ شعر تجري من تحتها الأنهار ويحتمي بها الطير والبشر بفائض جمال ومخزون آدمع مطرة:23

وغرسناها فلما أثمرت خانها بعد الشباب المطر
وهي من آدمعنا قد حبكت ومن الأدمع ينمو الشجر
نبتت في الرمل لاشيء سوى نغم عبر المدى ينحدر
مدت الظل على كل الدنيا واحتمى الطير بها والبشر

إنها الصحراء لا كما هي ، بل كما يحلم الشاعر أن تكون إنها الموات الذي يبعث فيه الشاعر الحياة ، واليباب الذي يزرعه خصبا ونماء ، والطلل الذي يحويه وهو رميم ، إنها اللحظة الفارقة بين ذاتين؛ ذات الشاعر الخصب وذات المكان المحتضرة ، وفلسفة إحياء المكان شعريا واستدعاء كل أسباب الحياة والبقاء حبرا ودما ودمعا ، لتكون القوة الصحراوية الطاردة قوة جذب إليها وكانت قبلها قوة جذب منفرة ، إنها فلسفة الشعراء الأوائل مع الطلل وقد انتبه إليهم بحس تأويلي قرائي رهيب الناقد حبيب مونسي فقال عنهم وأسقط عنا اللبس ، وعلى شعرائنا المعاصرين القول في النص الطللي القديم المتجدد ، الذي يتلبس المعاصرين من حيث يدرون ولا يدرون ما ضمّر منه وما ظهر ، لأن الطلل خالد في ذاكرة الشعراء ، " إنه نص عجيب غريب ، دائم التحول ! كيف ؟ إن اللحظة المكانية التي ارتسمت في قرارة الشاعر ، كانت تعتمد على جملة من العناصر المادية المشاهدة ، والتي ما تزال في رحمة التحول المستمر الذي تجريه الطبيعة على هيئتها من محو وتثبيت ، كلما عادت إليها الأنواء ، وعدت عليها الرياح ، وتعاقب عليها الشتو والمصيف .. وكل حركة في هذه الظروف تغير ما تشاء من سطر ، محو وإضافة . إن الشاعر يدرك ذلك جيدا ، ولا يأمن أن تظل الصحيفة التي شاهد على حالها ، بل يجزم أنها ستتغير غدا أو بعد غد .. لذلك كانت صياغته للنص تحمل هذا التحول ، وتشير إليه ، حتى لا ينخدع المتلقي بما وصف ، ولا يأمن بدوره السكون الذي يوحي به المكان ظاهريا"24 ، ومتى سكنت الصحراء وأؤتمنت على عابريها وساكنيها والمجوعين بها وبمن سكنوها فهجروها؟ وهي التي لا سر لها ولا ثبات ، ذات المزاج الغريب الرهيب ، مقبرة كثير من الأهواء والأحلام القاسية بشبق انتقامي عتيق كما ورد في المدونة الشعرية العربية كثيرا ، أليست المقبرة التي حدثنا عنها عثمان لوصيف بكل جوامع الألم والكلم ، إنها الحياة

والموت ، الألم بصيغة الأمل، كما جسّدته قصيدة 'المقبرة' إذ يتنهد عثمان شعريا فيقول عن صحرائها المقفرة
قاصدا المقابر المتحركة النهمة: 25

مقبرة:

وزواحفُ تسحب أكفانه

وتدبّ إلى المقبره

وأنا المتوحد بالنار

والجلنار

تجرّعت من سمّها الوثنيّ ولكنني الآن ألعن

"صحراءها المقفّره

وسعت الصحراءُ مواجِع الشعراء الأولين والآخرين سواء ، ولم تكن ملاذهم إلا ماندر وشدّ عن قاعدة هذه
الصفراء الفاقع لوّنها القاسية على الشعراء والغاوين معا ، كما البحر تماما والذي اتسع فوسّع آلامهم كثيرا لولا
ان البحر يتسع من طربي نقيض ، فبقدر ما تعمق المواجع ويبعث الذكريات بقسوتها ويحرك المواجع بجبروتها ،
بالقدر الذي يكون ملاذا وذاتا تحسن الإصغاء لبوح الشعراء والموجوعين ، فيتأنسن شاعرا مصغيا محتضنا حين
يتشأ البشر من حولنا وتمتلى اغترابا، لذلك وددت التوقف عند 'البحر' بوصفه مكانا اصطافت عنده كثير من
النصوص الشعرية "العثمانية" وسبح عثمان لوصيف في لوجه الفلسفية كثيرا وأصغى لمحاوراته الوجودية مطولا ،
فبث فيه من روحه وبث الآخر فيه من حزنه ، ولاذ كلاهما بالآخر ، وقد جاورا اليابسة/ الأرض ولكنها ضاقت

بهما: 26 واقف عند الشواطئ

في هدوء وسكينه

أبني فيها مرافئ

وشراعا وسفينه

واقف الهو بدمعي

إذ جرى من مقلتي

ها انا قد ساقني الوجد إليك

جئت لما ضاقت الارض عليا

آوني أيها البحر لديك

يتخذ عثمان لوصيف من حوادث الدهر والبحر صورا شعرية معتقة، تحيل على الوقفة الطللية التي ظلت وشما على زند القصيدة المعاصرة، فيمنح البحر/المكانَ شرعيةً النصوص الأولى وحق الوقفات الجاهلية ويث فيه حرائق الشاعر القديم بأثر رجعي، متأملا متأملا وتلك فلسفته مع المكان غالبا، وتشكلت وقفته الطللية المعاصرة شعريا بانفاس سردية موعلة في التكثيف والصور المتتابعة سردا وامضا وكأنّ "الأليق بالطلل أن يحتويه الشعر، لا أن تحتويه الحكاية ! إن الطلل موضوعة فلسفية في أساسها الأول. وإن كانت مكانا محددا. ومن ثم كان في فسحة الشعر مجال للطلل، لا تقو الحكاية على حمله، لأنها سرد محض". 27، فلاغربة أن يسرد عثمان لوصيف الوقفة البحرية الطللية شعريا، فلطالما تقاسم السردُ والشعر الذوات الإنسانية الواقعة طليا بحزن الباكية أحببتها وطمعائها بحرقه : 28

في قاع هذا البحر قد سقطت مكسورة الألوان ترتجف
تقفو لها الأسماك في ولهٍ والسرخسُ الذهبي والصدفُ
ووقفتُ عند الشطّ مندهلا والموجُ في الظلماء ينقذفُ

الشعراء ذوو مقدرة رهيبة على إعادة صياغة الكون شعريا، فحين توحش بهم أمكنة يحاولون ترويضها، فإن أبت واستكبرت فإنهم يشيدون بروجها غيرها، تبلغ عنانَ الخيال الذي أوهم من ألم وأطعمهم من مسغبة الحوادث، فحين يضيق البئر/الصحراء والبحر بالذات الشاعرة فإنها تخلق في ملكوتها التخيلي الأول البعيد، مقتفيةً دروب التبانة الشعرية الحاملة، فذات الشاعر تضيق بالمساحات تحتق بالمحدود، كما فلسفها الشاعر عثمان لوصيف في بعته الجدَل القديم الأول، جدَل الخلق، مستأنسا بفرضياته مستكينا لأوهامه متكئا على حقائقه السديمية السرمدية قائلا حالما فانيا في وجود بعيد بحسّ صوفي مهيب وبرؤى علوية تأملية خالصة تنشد الخلاص: 29

وأنا الميثُ الحيُّ
كنت أصوغ السديمَ نجوما
فأرسل في العتمة البدورُ
يادم الكون
يا.. يادمي
أجج العشق نارا ونورُ
واتل للعالمين كتابك
كي تستفيق العقولُ

وتزهر بالمجد هذي الزهور

ينتقل عثمان لوصيف بين الأمكنة والفضاءات الشعرية تنقلا هادئا قلقا، وجوديا ضاربا في فلسفة الخلق والمصير والخلاص، متشظي الذات بين ألفة المكان ووحشته، فحين ضاق به البر والبحر، اتخذ لذاته الشاعرة أمكنة ومساحات روحية جديدة؛ مثنى وثلاث ورباع، فضرب في البر والبحر واصعد إلى السماوات البعيدة فأول الخلق، ليدرك أنه لا مكان لطف وأشد حميمية وألفة من رحم الأم الأول، المبتدأ والمنتهى، فهو الرحم/المولد/البدايات السحيقة وهو الحلم، فالإنسان يظل معلقا بمجده الأول الذي هو جزء منه وهو كله، و" لقد أدرك الشاعر العربي منذ العهود البائدة أنه لا يستطيع أن يبرح المكان، وأن المكان يحتويه في حياته ومماته. فهو جزء منه لا يختلف عنه في شيء" 30، والرحم بوصفه مكانا هو اخلد الخالدين كما يقول: 31

مثل الجنين

غفا في سدره الرحم

يعانق

الغيش

المسحور في الحلم

إنه الرحم، بيت الوجود الأول، الحميم الرحيم، الذي يبرحه الإنسان فيظل به حنين إليه، وهو " جسد وروح وعالم الإنسان الأول" 32 لكن الرحم أسبق من كل البيوت اللاحقة

2- الطبيعة الثورة والملاذ:

منذ الخليقة الشعرية الأولى؛ والذات الشاعرة تحيم بالطبيعة وتلوذ بتفاصيلها وتستنطق جماداتها وتتلبس حالاتها وتتمثل مزاجها الغريب، في تماه كبير مبرر بين الذات وطنيتها الأولى، ولم يخل الشعر العربي لحظة من حضور الطبيعة في تجلياتها المختلفة، بمستويات استحضار متعددة ومتباينة في العمق والمقاربة، وإذ تلوذ الذات بالطبيعة فلحاجة في تفاصيلها التي شكها الإنسان بثه فوسعت اغترابه وأنست وحشته، " والإنسان منذ بدأ يضرب في الأرض حمل بين جوانحه ضروبا من الإحساس بالاغتراب حتى لقد تلونت قطاعات عريضة من أدبه بعد ذلك بهذا الإحساس" 33، لذلك جاءت الأشعار معلقة على ستائر الحنين واللوعة، وهو ما عرف بشعر الطبيعة في موانيق تاريخ الأدب العربي وأعرافه التصنيفية، ولقد وعى عثمان لوصيف الطبيعة واستكنهها ومنحها -إذ لاذ بها- مكنوناته ورؤاه الفلسفية، فمنحته الصورة الفنية اللائقة وعكست رؤاه العميقة، وطال بما المد الفلسفي والجزر الفني، فصارا مبعثين لهواجس الذات الشاعرة، وخلق كلاهما تفاصيل الآخر، في تماه كبير تجسيدا لمقولات الانبعاث والخلق المتجدد، ففي عز التوحد والحلول بين الطبيعة والذات الشاعرة،

يصبح كلاهما مانحا أخذا، لتتجسد 'أسطورة العنقاء' وتتجدد ، فينبعث الخلق والشعر والنص، وتلكم فلسفة عثمان لوصيف البعيدة التي حاولنا اقتفاءها بحسّ وحذر مبين، وقد تغنى بها في أعراسه الملحية: 34

من رماد الموت ناتي شجرا يمتد في التاريخ ناتي
والنوافير على اهدابنا، ناتي وننثال حنينا في رمال الزمن
الموت ناتي نملا الدنيا فتونا ونريق الحب أنهارا ونعطي
للسحاب البرق وللريح المدى والصوت ناتي سفنا من
آخر الدنيا ونمتد على مملكة الأيام أشكالا ووشما وانطباع

يلوذ عثمان لوصيف بالطبيعة : أشياء و أمكنة وفضاءات ومقولات فيتلبسها شعريا ، لتمتد فيه دلالات وإشارات عميقة ، فتتحسّس ذاته الشاعرة أصواتها فألوانها ولغاتها وقد أوتي منطق المكان والشعر على حسّ سواء، و يفقه الشاعر المكان ويجاوره "عبر لغات مختلفة : علامات لغوية وألوان وأصوات وصور.. حيث الخبرة المباشرة (الحدسية) بالأشياء إلى الوعي الجمالي بهذه الاشياء ودورها ودلالاتها ووظائفها" 35 وتلمس هذا العناق الوجودي العميق بينهما في مقطوعات عديدة منها: 36

أعانقها
فتشتبك الغصون
وألثمها
فينمو الياسمين
وترقبها النجوم
إذا مشينا
فتأخذها الغواية
والجنون

يعانق الشاعر تفاصيل الطبيعة فيبث فيها الوجود والجمال ، ويؤنسها حين " يتشأ " البشر من حوله ، فيكتسب الليل صفات البشر إذ يشعر بالغثيان، والحمى، ويصير للفجر جسداً يتمزق ، ويكون للألوان روح ورغبات خامدة ، فتتهيا لتتحرك وتتشكل ممتلئة عواطف وأهواء بفائض حياة وإنسانية فتحنّ ويصيبها كما البشر الوله، إنها تمنح للذات الشاعرة مامنحتها من أهواء ومما بادلتها من عواطف حين لاذت بها وسكنتها، وهي فلسفة عثمان لوصيف في زواجه الطبيعي المعقد الوثيق : إنه عناق الذاتين ووحدة الوجود بوصف الطبيعة نصا سرمديا وبوصف النص طبيعة بكل تفاصيل التشابه: 37

العدد 02 جوان 2019 - مجلة علمية متعددة التخصصات

Academic.studies.aflou@gmail.com

الليل يعاني من حمى الغثيان

وضلوع الفجر تمزقها النيران

والنطفة في بئر النسيان

والألوان تنهياً

تتشكل في وله وحنان

منح الشاعر الطبيعة لغته لتتجلى شعريا ، ومنحته مقولاتها ليتأثت نصه طبيعيا ، ولا ينبغي ذلك إلا للشعراء حين يندمجون في تفاصيل محيطهم الطبيعي فينكتب في أشعارهم بلغتهم التي تتوغل في العادي ، فتشكله كما لانراه ولكننا نشعر به ، لأن "الشعر لا يقول أشياءه في اللغة المعتادة. إن له من اللغة ألفاظا وتراكيب تمنع في خلق جو من المعاني التي تعمل عملها الدسيس في النفس" 38. تلكم اللغة التي تنزل من سماوات الدلالات العميقة المتجددة التي تمنح الشعرية الإنسانية خلودها وتجدها الدائمين، ومن النصوص التي عانقت السماء بوصفها آفاقا بعيدة منشودة بكل تشكيلتها الرمزية والدلالية هذه المناجاة/المناغاة للطفل الشاعر الحالم بحسن رومانسي يذكرنا بروائع "جبران" العميقة ومواكبه الأنيقة، وبفلسفات "طاغور" الخالدة وأشعاره الساردة: 39

السماء:

أين مني نجومك الخضراء

والنواقيس

والمدى

ياسماء

أين مني رذاذك البكر يهمني

بين عيني

حين يأتي المساء

وإذا السماء رفعت شعريا لدى عثمان لوصيف واستمطرها وصرّفت دلالاتها بعمق ، فبكت بعينه وتبللت عيناه برذاذها ، فإنّ الجبال قد نُصبت شعريا لدى في حمى الشاعر، ولم تكن مقارباته للجبال بأقل جمالا من الاقترابات الرومانسية الأندلسية خصوصا ، ولا أقل قيمة رمزية من كثير من فلسفات الأوائل وأساطيرهم وخرافاتهم عن الجبال ، حيث "الجبل.. مكان للضياع والفقد.. الجبل.. ارتفاع وحاجز ونهاية.. لقد عمدت القصة الخرافية، والقصة الشعبية إلى استعمال "الجبل" لواحد من هذه المعاني، يعد إحاطته بهالة من الضبابية و عدم التحديد.

العدد 02 جوان 2019 - مجلة علمية متعددة التخصصات

Academic.studies.aflou@gmail.com

تبث فيه الروائح والأصوات، من همهمة وهمس وهدير.. وكل لفظ غامض و غريب. وهي في سعيها ذاك تراعي - ابتداء - عاملا نفسيا مركوزا في المتلقي الذي تمتلئ نفسه فرقا مما يسمع، ومما يرتسم على وجه "الحاكي" من تعابير تحوّل الوصف، وتنفخ فيه الأصوات، وتبث فيه الحركات. "40"، ومن الطرافة الفلسفية أن يتمنى الشاعر كونه جبلا حجريا أصم قاسيا صابرا يهزم كل ما يمكن أن ينتابه من أهوال الطبيعة، وهو لا يريد أن يكون حجرا صغيرا "ماضويا" ليثبت جدارته بالحياة، بل يفضل أن يكون جبلا شامخا لا يتشقق من خشية الآخرين، إذ تنكسر الريح عند قدميه، وتندفق النار صاغرة بين أصابعه لتتال من رفات البشر، فهو كاتب بالنار معانق لها معذب لها يمتطيها ليعث وينبعث في رفات الكون جميعا: 41

جبل ليتني جبل من حجر
تعصف الريح لكنها تحت أقدامه تنكسر

ليتني عاصف أو مطر

ليتني ليتني كيمياء

تتسلق نار السماء

ثم تهب كالصاعقة

في رفات البشر

جبل ليتني جبل من حجر

3- مديح المدن ؛ أنساقا وسياقات:

نالت المدينة حظا وافرا من الحضور في الأدب العربي منذ القديم، بوصفها مكانا غنيا بالأحداث وبما يمنحه للنص من مناورات أدبية، ولم يخلُ النص الشعري القديم ولا المعاصر من استحضار المدينة أيضا، فمنذ الشعر الجاهلي إلى شعرنا المعاصر والمدن محظوظة بهذا الاستحضار، حتى إنه وُسم قسم من الشعر العربي بشعر المدينة أو رثاء المدن والممالك في طبعته الأندلسية، فكثيرا ما تغنى الشعراء بالمدن المشيدة والتليدة والساقطة تباعا كذلك، ففي المدن حيوات وذكريات وأحلام، وما المدن سوى مخزون لتفاصيل ساكنيها وعابريها وهي مدخرات أهوائهم وعواطفهم ومصب حنينهم أيضا، ولقد عُرف عثمان لوصيف بنصوصه 'المدنية' كثيرا وهو يكتب عن عديدها، تلك التي زارها أو وقف أو استوقف بها غيره، منها الجزائرية كبسكرة وسطيف وباتنة ومنها العربية كفلسطين بمدننا أو مصر ببنيلها، لذا وددنا أن نتوقف عند هذا العشق 'المدني' عند عثمان لوصيف لاستجلاء مقارباته المدنية وفقهه في ذلك، ومن هذه النصوص التي ذكرت المدن بأسمائها قوله عن سطيف: 42

العدد 02 جوان 2019 - مجلة علمية متعددة التخصصات

Academic.studies.aflou@gmail.com

بكيت وأدركني الأسى
 قلت أعود إلى النخل
 لكنني حين ناديت عبر الدروب
 سطيف.. سطيف
 وجدتك بين يديّ بثوب الزفاف
 فأيقنت أن الغرام سطيف
 ضممتك فأنهمر الثلج
 غنت عيونك
 وابتدأ العرس
 ثم ارمىنا على الريش ملتهبين
 وبنما هنالك تحت الندى شفة في شفه

إن توظيف المدينة (سطيف) في هذه المقطوعة جاء استقصاء لبواطن الذات وتسريدا لمحي النفس ، لتكون سطيف الملاذ للشاعر من الأسى وقد خانته النخل وما استجاب ، والميزة الثانية أن المدينة في المقطوعة تأنسنت وصارت معادلا موضوعيا للمرأة/الأنثى المشتهاة ، وكان حوار الأهواء والأجساد بديلا عن الفقد والاعتراب الذي عاشه الشاعر، إذ تحاورت الشفاه دفنا وقد 'أنهمر الثلج' كما قال الشاعر، وهو تجسيد طريف للمدينة بوصفها بشرا سويا ، ولطالما تحاورت الأجساد بوصف الإنسان جسدا يعيش بين أجساد بشرية وشيئية أخرى ، ليستحيل الجسد مكانا حيث " المكان يدرك إدراكا حسيا مباشرا ، يبدأ بخبرة الإنسان لجسده ، هذا الجسد هو (مكان) ، أو مكمل القوى النفسية والعقلية والعاطفية للكائن الحي " 43 ، فحين يجعل الإنسان المدينة جسدا ويؤنسها فلحاجة في تعويض فقد حسي داخلي وخارجي أصابه ، أما 'باتنة' فمدينة طالب فيها الشاعر بلجوء عاطفي وقد شكاهها تعبته وغربته وظمأه وصبابته وأسفاره الشاقة، ملتصقا منها مددا روحيا وإقامة عاشق " سندبادي " قدره السفر الدائم: 44

ها أنا جئتك صبا ظامنا
 أحمل الشمس وحي والزهر
 فاحضنيني إنني محترق
 وامسحي عن جبهتي ملح السفر

تغنى عثمان لوصيف بالقدس كما تغنى بها جلُّ الشعراء الجزائريين وأفردوها نصوصا كثيرة ، وربما كان للقدس حضور لا يفوقه إلا حضور الوطن في الشعرية الجزائرية المعاصرة ، لأن فلسطين موضوعة عابرة للنصوص ، وفلسطين أعز البلدان وأخلد الجراح لدى الجزائريين جميعا ، وعادة ما يذكرها هؤلاء بحرقه وفخر وحسرة على المال ووعد بالحرية والشروق ولو بعد حين :45

يا بروج التنزيل ياصهوة المعراج

يامنيع الهدى والقداسة

يا صلاة العشاق في كل درب

يا غراما فيه انغمسنا انغماسه

هو ذا الجرح صارخ يشتهي

عانقيه ودغدغي إحساسه

وللنيل حضور فيشعر عثمان لوصيف ، فبين مديح وفخر يتغنى بأعجاد النهر الجارية نحو الخلود ، وكدأبه يتناول الشاعر الأمكنة والمدن والطبيعة بحسّ رومانسي أخاذ لأنّ "الشعر لا يقول أشياءه في اللغة المعتادة. إن له من اللغة ألفاظا وتراكيب تمنع في خلق جو من المعاني التي تعمل عملها الدسييس في النفس"46، وقد جاء في ذكره النيل:47

النيل في النهار

أو تحت ندى السحر

والنيل في الغروب

أو تحت سني القمر

أيقونة من فضة

أو أرجوان يستعر

أما مدينة ورقلة فيجعلها مبعثا للغناء وزهرة تستحق أن يغني لها الشعراء ، لماضيها وحاضرها ولأعراسها المقبلة وكأن أعراسها الحاضرة خرساء ، ويصفها بالزهرة وكأنه يشعر بأن "وردة الرمل لا ترتوي بالندى" كما يقول الشاعر عمار مرياش، وجاز له أن يتغنى بزهرة المدائن:48

دعيني أغنّ

لأعراسنا المقبلة

آه يا زهرتي

العدد 02 جوان 2019 - مجلة علمية متعددة التخصصات

Academic.studies.aflou@gmail.com

آه يا ورقله

أما مدينة تيزي وزو فيستحضرها وتاريخها وأصالتها بصوامعها وزواياها وقراتها وعراقتها ومآذنها، وعزتها الأبدية ولو كره الكارهون، وبكل أنساقها الظاهرة والمضمرة، وبمدّخاتها الصوفية وممنوحاتها الفكرية التي تحسّسنا بأنه شاعر عارف يرد على كل من سؤل له قبحه أن يرمي مدينته بسوء وتفسخ، فكل مافيها عال وشامخ ومدعاة لكل تواق إلى الزهاد المتصوفين عشاق الجمال الروحي الخالد: 49

تيزي وزو

قمم تتشامخ عاليه

متعالیه

قرآن يتلى

ومآذن تتصادى

في الآفاق وتعتر

وأنا المتصوف فيك

الغارق فيك

أنا الموقظ ربحك

المستنفر روحك

وأنا اللغز اللغز

4- تأنسُ المكان و تشيُّ الإنسان:

لا يخلو الشعْرُ العربي - كما الجزائري - من حسّ اغترابي كبير ، عكسته المدوناتُ الشعرية لمختلف الأجيال والاتجاهات ؛ وليس أقرب لدى الشعراء من أن يلودوا بما ومَن يمنحهم الأمان و الحميمية ويملاً أرواحهم الشاغرة الشاعرة الوطنَ المفقود ، ولقد وسعت الأمكنة أرواحَ هؤلاء فدنوا منها كما الطبيعة واستأنسوا وسلموها أنفسهم وديعين ودخلوا تفاصيلها آمنين، ومن ثمَّ يمكننا أن نتحدث عن تأنس الأمكنة وما بث فيها الشعراء من أرواحهم ومن قيم الإنسانية السمحاء، في زمن خلت أصناف بشرية كثيرة من هذه العواطف النبيلة والأهواء الراقية فتشياً الإنسان، وبين تأنس الطبيعة والأمكنة والأشياء وبين تشيُّ الإنسان ، تنسج كثير من مقولات الذات ، ويتغير كثير من مفاهيم الأنا والآخر ، ولعل الشعراء الأكثر حسا واغترابا وانكسارا نتيجة هذا الانقلاب القيمي الأهوائي الإنساني، وحين نتتبع المدونة الشعريّة "العثمانية" نستشعر تلك الفلسفة المكانية
العدد 02 جوان 2019 - مجلة علمية متعددة التخصصات

المختلفة بين الذات الشاعرة وذات المكان في شعر عثمان لوصيف، حيث تتلبس كثير الفضاءات الإنسانية قيما وعواطف في عز تعري الإنسان منها، وتتجلى تلك المبادلات في الأدوار من خلال صفات عديدة إنسانية تتقمصها الأمكنة بكل مؤثاتها، فيميل الشاعر إلى الأشياء والأمكنة الحميمة كل ميل، ويجسد هذا المقطع ثنائية "التأنس والتشيؤ"، حيث تستحيل المدينة بشرا سويا، معبودة الشاعر: 50

"آه معبودتي

أوقدي النار إن الظلام يحاصرنا

والمدينة ترتج مذعورة

من دوي الصواعق

والموت يركض عبر الشوارع

والزمهريز يزجر في دمنا

أوقدي النار واقتربي

ثم قولي أحبك

ولنصهر

هذه الطينة البشرية

"في شعلة خالده

إنه تشخيص المكان وأنسنته؛ حيث يركض الموت كالحیوان أو البشر، ويزجر الريح كالأسد، فقد منح الشاعر الجمادات والأشياء روحا بشرية، وهي فلسفة أنسن الأشياء وبثها "الانفعالات الوجدانية. هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية.. تهب لهذه الأشياء عواطف آدمية، وخلجات إنسانية "51، ويتأنس المكان شعريا في "أعراس الملح" الحزينة، فيشتق البحر كالمسجون، ويكي زهر اللوتس كاليتيم، و ماتلاهما بحزن مقبور في ذات الشاعر والمكان معا كما جاء في هذا المقطع: 52

وانكسرنا..أه يامقبرة الورد سلاما..حبنا ينزف..كان

.البحر مشنوقا، وكانت زهرة الشمس على أنقاضنا تبكي

..وأسراب السنونو والمناديل وأكوخ اليتامى.

كلها همت ولجت في تراتيل الوداع

ولعل أشد المقاطع الشعرية "العثمانية" إيلا ما للذات القارئة تلك الصور التي التقطتها الذات الشاعرة حين تماهت فراودت الذات المكانية فهما معا، في فلسفة تحكي الميل "الأنسي" الرهيب للأشياء، لدرجة

العدد 02 جوان 2019 - مجلة علمية متعددة التخصصات

Academic.studies.aflou@gmail.com

التماهي والذوبان وإقامة علاقات إنسانية شيعية غير منطقية بمنطق العادي، غير أن الشعر والبلاغة يمنحان الذوات قوانين جديدة وحرّيات كبيرة وشرعيةً فنية نادرة، فحين يتزوج الشاعر النار، ويهوى نيزكا ويلوذ بكهف مخافة الذئاب البشرية صادحا بالحب الإلهي الجارف، ينشد حرّيته الكبرى، من خلال كل هذا الانحلال الشعري اللافت والانفتاح الدلالي الرهيب، والتحرر القرائي الشديد للمكان بوصفه وثيقة تحرر لا قيد عيودية وحيّر تكميم وتعقيم، فالحرية "في أكثر صورها بدائية، هي حرية الحركة. ويمكن القول إن العلاقة بين الإنسان والمكان تظهر بوصفها علاقة جدلية بين المكان والحرية. وتصبح الحرية في هذا المضمار، هي مجموع الأفعال التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز أو عقبات، أي بقوى ناتجة عن الوسط الخارجي، لا يقدر على قهرها أو تجاوزها" 53، وهذا ما ورد في شعر عثمان لوصيف: 54

أتزوج النار الزكية ساقطا في بشر هذا الليل أهوى نيزكا

في القاع ينقني مناخ الموت، تنهشني الذئاب العمي

تغمري ركامات الرماد ن أرتب الحب الإله، فتصرخ العنقاء ملء دمي

وانهض في المقابر ثم امضي في كهوف الموت أمضي

أضرم النيران في كل اتجاه، في هشيم الريح، في الأنهار، في

. جثث الطيور وأرتمي في لجة النيران أعتنق الحريق

خاتمة :

- نختتم ورقتنا هذه بأهم ماخلصنا إليه جزاء هذا الاقتراب النسقي من فلسفة المكان في شعر عثمان لوصيف :
- إنَّ المتتبع للظاهرة الشعرية عند عثمان لوصيف سيتحسّس الحضور المكانيّ اللافت والمتميز ؛ ويمكن عدّه شعرا مكانيا بامتياز .
 - الأهم من استحضار المكان شعريا هو الوعي به واستنطاق مقولاته وتحسّس جمالياته واكتساح مستوياته شعريا ، ومخاطبة أنساقه الظاهرة منها والباطنة المضمرّة، وهو ما لمسناه في النصوص المستهدفة.
 - لاذ الشاعر بالطبيعة أمكنة وتفاصيل ومؤثّثات ، فاستحضر عناصرها بحسّ رومانسي أخذ، ولكن بنزوع حزين زواج بين التألم والتأمل.
 - لم يلجأ الشاعر إلى الطبيعة شاكيا ضعيفا لتمنحه الأنس بقدر ما اقترب منها قويا بفلسفة منحها رؤاه وبثّ مكنوناته.
 - لم يكتف الشاعر باستحضار الأمكنة الواقعية الأليفة منها والمعادية الموحشة ، إنما عمد إلى خلق أماكن وعوالم جديدة عجائبية أسطورية تخيلية علّها تسع رؤاه حين ضاق به المكان الحقيقي الممكن الواقعي.

العدد 02 جوان 2019 - مجلة علمية متعددة التخصصات

Academic.studies.aflou@gmail.com

- بدا الشاعر مدّاحاً للمدن مؤرخاً لها باثاً إياها حينه وتعب أسفاره السندبادية الشاقة .
- كانت المدينة معادلاً موضوعياً للمرأة الحبيبة العشيقة والحب والحياة المنشودة.
- يستحضر الشاعر المدن بأنساقها الظاهرة والمضمرة تاريخاً وفكراً وحضارة وأهواء، عاكساً بذلك قراءاته العميقة للمدينة.
- أنسن الشاعر المدن والأمكنة باثاً فيها من روح الإنسان وقيمة وعواطفه، مقارناً بذلك بين الذات البشرية "المتشعبة" والذات المكانية "المتأنسة"، لكي يحدثنا عن الاغتراب بوصفه ظاهرة إنسانية جارفة تجلت في الشعرية المعاصرة بقوة.
- قارب الشاعر المكان بحسّ إنساني كبير ، وأقام علاقاته الفنية مع كل عناصر المكان، واستدعى لذلك الحواس جميعاً فتداعت ، فاستشعرنا حوار الألوان والأصوات والصور جلياً في النصوص الشعرية.
- عثمان لوصيف ؛ فقيده الشعرية الجزائرية والعربية المعاصرة ، يبقى علامة فنية فارقة ، وسيحفظ له مجده الشعري تاريخاً الأدب .

الهوامش:

- 1- حميد حميداني : بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط3، 2000، ص53.
- 2- ابن منظور: لسان العرب (مج11) دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط4، 2005.
- 3- عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط4، 2007، ص134.
- 4- حميد حميداني: بنية النص السردي، ص54.
- 5- حسن نجمي: شعرية الفضاء، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000، ص32.
- 6- غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1987، ص36.
- 7- حميد حميداني: المرجع السابق، ص53.
- 8- أحمد شريط: الزلزال، تأويل الشخصيات والمكان، مجلة المسألة، ع1، 1991، ص75.
- 9- صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2003، ص13.
- 10- موسى ربابعة: جماليات الأسلوب و التلقي، دار جريل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1 2008، ص74.
- 11- موسى ربابعة: المرجع نفسه، ص74-75.
- 12- إدريس بوذبية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة الجزائر، 2011، ص188.
- 13- فتيحة كحلوش: بلاغة المكان، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص09.
- 14- محمد الدغمومي: المكان القصصي، مجلة آفاق، منشورات اتحاد كتاب المغرب، 81-82، فيفري 2012، ص25.

العدد 02 جوان 2019 - مجلة علمية متعددة التخصصات

Academic.studies.aflou@gmail.com

- 15- ياسين النصير الرواية والمكان، دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الثانية، 2010، ص 15.
- 16- حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001، ص 07
- 17- حبيب مونسي : المرجع نفسه، ص 08
- 18- حبيب مونسي: المرجع نفسه ، ص 129
- 19- "غاستون باشلار: المرجع السابق ص 49
20. حسن نجمي: المرجع السابق، ص 32
- 21- فيصل حصيد: الصحراء في الكتابة السردية عند بوطاجين، أعمال الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية، 2014، ص 32.
- 22- عبد الحميد محادين، جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، البحرين، 2001، ص 65
- 23- عثمان لوصيف: شبق الياسمين، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، 1986، ص 64
- 24- حبيب مونسي: المرجع السابق ، ص 26
- 25- عثمان لوصيف: طولقة، دار هومة، ط 1، 1997 ص 54
- 26 - عثمان لوصيف: الإرهاصات ، دار هومة، ط 1، 1997، ص 61
- 27 حبيب مونسي: المرجع السابق، ص 49
- 28- عثمان لوصيف : نمش وهديل ،دار هومة ن الجزائر 1997، ص 58
- 29- عثمان لوصيف: قالت الوردة، دار هومة، 2000، ص 11
- 30- حبيب مونسي: المرجع السابق، ص 79
- 31- عثمان لوصيف : نمش وهديل ص 58
- 32- غاستون باشلار: المرجع السابق ص 38
- 33- يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط 1، 2008 ص 67
- 34- عثمان لوصيف: أعراس الملح ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 ص 33-34
- 35- حسين خالد حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة، مؤسسة الإمامة الصحفية ن الرياض، ص 76
- 36- عثمان لوصيف :أعراس الملح، ص 37
- 37- عثمان لوصيف: المصدر نفسه، ص 79
- 38- حبيب مونسي: المرجع السابق ، ص 115.
- 39- عثمان لوصيف: للؤلؤة، دار هومة، ط 1، 1997، ص 71
- 40- حبيب مونسي: المرجع السابق ص 67
- 41- عثمان لوصيف: براءة، دار هومة، ط 1، 1997، ص 40

- 42- عثمان لوصيف: اللؤلؤة ، ص11)
- 43- لوتمان يوري : مشكلة المكان الفني،ترجمة سيزا قاسم، مجلة ألف، القاهرة، العدد السادس، ص79.
- 44- عثمان لوصيف: الإرهاصات، ص95-96
- 45- عثمان لوصيف: الكتابة بالنار، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط1، 1982، ص30.
- 46- حبيب مونسي : المرجع السابق، ص115
- 47- عثمان لوصيف: زنجيل، دار هومة ، ط1، 1999، ص08
- 48- عثمان لوصيف: اللؤلؤة ص4
- 49-عثمان لوصيف: أبجديات (د ط) 1997، ص72.
- 50- عثمان لوصيف: براءة، ، ص46
- 51- سيد قطب. النقد الأدبي..دار الشروق.(دت) بيروت. ص:61
- 52-عثمان لوصيف: أعراس الملح، ص32
- 53 - سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط2. ص59
- 54- عثمان لوصيف : الكتابة بالنار ، ص57